الأولى أن ينسب كتاب النخل لابن العوام(*) لا لابن وحشية

د. جزيل عبدالجبار الجومرد
جامعة الموصل

نشر الدكتور إبراهيم السامرائي قبل قرابة عقدين ونصف من الزمن رسالة مخطوطة صغيرة بعنوان "كتاب النخل" منسوبة لابن وحشية النبطي[1] وهو مؤلف من أصل نبطي اكتنف الغموض حياته، وحامت حول وجوده الفعلي الشكوك، ويفترض أنه كان حياً في المدة من (٢٩١- ٣١٨ هـ / ٩٠٣ - ٩٣٠م[2]. وقد اعتمد المحقق على نسخة واحدة بخط العلامة السيد محمود

(*) يقع نص كتاب النخل هذا في خمس ورقات ٢٠سم × ١٣,٥سم، وفي كل صفحة ١٨ سطراً.

(١) نشرت الرسالة تحت عنوان "كتاب النخل لابن وحشية النبطي"، المورد، بغداد، المجلد الأول، العددان الأول والثاني. ١٩٧١، ص ٦٤-٧٠ وسيشار إليه لاحقاً خلال البحث بكتاب النخل".
يقع نص كتاب النخل هذا في خمس ورقات ٢٠سم ×٥ر١٣سم، وفي كل صفحة ١٨ سطراً.

(٢) لا يوجد لدينا تفاصيل واضحة عن شخص ابن وحشية، وقد كان هذا الشخص موضوع جدل طويل بين الدارسين المحدثين من حيث أصوله ونزوعاته وحتى ما إذا كان موجوداً بالفعل، للتفاصيل انظر: محمد بن إسحق النديم: الفهرست، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٨ص ٤٣٣-٥٠٤، حيث يقول عنه: "أبو بكر أحمد بن علي بن المختار بن عبدالكريم... الكسداني الصوفي، من أهل قسّين، وكان يدّعي أنه ساحر... ومعنى كسداني... نبطي وهو من ولد سنحاريب..."، ثم يقول "من أهل جنبلاء وقسّين، أحد فصحاء النبط بلغة الكسدانيين" وقد ذكر له الكثير من الكتب وقال إنه رأى بعضها بخطه. ثم حول آراء المحدثين انظر: كارلو الفونسونلينو: علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى، روما ١٩١١، ص٦ ٢٠-٢٠٩. وانظر:
T. Fahd: Art. "IBN WAHSHIYYA", in Encyclopaedia of Islam, 2nd. Ed. Vol 3. 963

شكري الألوسي (ت ١٣٤٢هـ-١٩٢٤م) محفوظة في خزانة معهد الدراسات الإسلامية ببغداد تحت رقم ٨٣، وهي منسوخة عن أصل فريد محفوظ في خزانة المدينة(!). وهناك نسخة منقولة بخط العلامة أنستاس ماري الكرملي (ت١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م) عن نسخة الألوسي السابقة، محفوظة أيضاً في خزانة معهد الدراسات الإسلامية المذكور، تحت الرقم ٨٧. وقد كانت النسختان، الألوسية والكرملية، من مقتنيات ميخائيل عواد قبل أن يمتلكهما المعهد[٣].

ويتضح من هذا، أن المحقق لم يرجع إلى نسخة المدينة واعتمد نسخة الألوسي أساساً للنشر.

وهناك مسألتان حريتان بالاهتمام في نسخة الألوسي المنقولة عن النص الوحيد المشار إليه أعلاه. أولاهما، تثبيت عنوان الرسالة واسم مؤلفها بالشكل التالي: "كتاب النخل لأبي بكر أحمد بن علي بن المختار المشهور بابن وحشية النبطي"[٤]. وثانيتهما، خاتمة الرسالة، التي يحدد فيها الألوسي تاريخ نسخ النسخة الأصلية هكذا: "نقله الفقير إليه تعالى محمود شكري الألوسي عن النسخة الخطية المحفوظة في خزانة المدينة والمكتوبة في ١٢ جمادى الآخرة سنة (٣٢٤) من هجرة خاتم الأنبياء"[٥].

لم يشكك المحقق في صحة نسبة الرسالة إلى ابن وحشية النبطي بل سارع من دون عناء إلى إثباتها، وعندما لم يجد لدى ابن النديم (المتوفى بحدود ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) في فهرسته ذكراً لكتاب لابن وحشية[٦] بهذا العنوان، إنما ذكر له كتابي الفلاحة الكبير والفلاحة الصغير، ذهب بناءً على ذلك، إلى أن" أغلب

---

(٣) كتاب النخل، ص ٦٦، ٧٠.
(٤) المرجع نفسه، ص ٦٤.
(٥) المرجع نفسه ص ٧٠.
(٦) الفهرست، ص ٤٣٣.

الظن أن هذه الرسالة جزء من كتابه (يعني ابن وحشية)[٧] المشهور - الفلاحة النبطية"[٨] ولما كان معروفاً أن الباب الأخير من أبواب كتاب "الفلاحة النبطية" الشهير لابن وحشية هو باب النخل، فقد افترض المحقق أن "كتاب النخل" هو ذلك الباب من ذلك الكتاب[٩]، وهكذا يترتب على مثل هذا الافتراض أن يكون "النخل" وهو الجزء، حاله حال كل كتاب "الفلاحة النبطية" مترجماً عن الكسدانية (الكلدانية) أو النبطية[١٠]، فكتاب "النخل" إذاً مترجم عن تلك اللغة وليس مؤلفاً عربياً إسلامياً. وزيادة في تأكيد هذه الافتراضات المتتالية لجأ المحقق إلى نص خاطئ في محتواه لابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٦م) يحاول من خلاله إثبات صلة كتاب النخل بكتاب "الفلاحة النبطية" حيث يقول ابن خلدون: "وترجم من كتب اليونانيين كتاب الفلاحة النبطية منسوبة لعلماء النبط مشتملة من ذلك على علم كثير"[١١] لقد لمح نلينو من قبل باختصار شديد إلى تناقض نص ابن خلدون[١٢]، فكيف يكون "الفلاحة النبطية" مترجماً عن اليونانية وفي الوقت نفسه منسوباً لعلماء النبط؟، ومع هذا فإن السامرائي، وقد سبق أن أقر بأن الكتاب

---

(٧) كتاب النخل، ص ٦٥.

(٨) المرجع نفسه ص ٦٥.

(٩) المرجع نفسه ص ٦٥.

(١٠) هذا ما يصرح به ابن وحشية نفسه في مقدمة كتابه الفلاحة إذا يقول إن الكتاب - الأصلي - ألفه قبله بألوف السنين حكيم بابلي اسمه قوثامي نقلاً عن كتب أقدم من تأليفه بكثير ... وأن ابن وحشية ترجمه من لسان الكسدانيين أو النبطية - والمراد اللغة البابلية القديمة إلى العربية سنة ٢٩١ هـ / ١٩٠٤م، ثم أملاه سنة ٣١٨هـ/ ٩٣٠م، على تلميذه أبي طالب أحمد بن الحسين بن علي بن أحمد الزيات: انظر نلينو: علم الفلك، ص ٢٠٦. وقد نقل السامرائي كلام نلينو هذا من دون ذكر المرجع.

(١١) عبدالرحمن بن خلدون: المقدمة، مطبعة محمد عاطف، مصر بلا .ت ص ٤٣٢.

(١٢) انظر نلينو: علم الفلك ص ٢٠٦ ولكن توفيق فهد هو الوحيد الذي يعتقد أنه بالإمكان أن تكون لنص الفلاحة النبطية صلة بالفترة الهلنستية ومن ثم فإن بعض نصوصه قد تكون من أصول يونانية، انظر رأيه في مقالته ibn Wahshiyya في Encyclopaedia of Islam. 2nd.ed vol.I .p.964.

مترجم عن الكسدانية (الكلدانية) أو النبطية تأسيساً على تصريح ابن وحشية نفسه في مقدمة كتابه كما أشرنا، فإنه يعود ثانية، اعتماداً على ابن خلدون، ليثبت صلة "النخل" باليونانية بقوله "وفي رسالة النخل نقول عن هؤلاء اليونانيين مما يؤيد أنها من مادة هذا الكتاب الكبير (يقصد الفلاحة النبطية) [١٣]....

إن هذه الافتراضات والتناقضات بحاجة إلى حل واضح.

أولاً: ما هي صلة كتاب "النخل" بكتاب "الفلاحة النبطية" ؟ وهل هو حقاً جزء منه؟ إن البت في هذه المسألة يكون بمقابلة نص "النخل" بمحتوى "الفلاحة النبطية"، ولما لم يكن النص الكامل "للفلاحة النبطية "محققاً ومتوافراً[١٤]، فعلينا الرجوع إلى إحدى مخطوطات الكتاب لهذا الغرض[١٥]. وبالعودة إلى مخطوطة الكتاب المحفوظة في مكتبة البودليان في جامعة أكسفورد[١٦]، وفيه يفرد المؤلف الباب الأخير من الجزء الخامس من الكتاب لموضوع (النخل) [١٧] نجد أن مادة كتاب النخل الذي حققه السامرائي تختلف تماماً عما هو موجود في باب

---

(١٣) كتاب النخل ص ٦٦.

(١٤) وعد توفيق فهد في مقاله المذكور في الهامش السابق(١٢) أنه سيقوم ببحوث إضافية عن ابن وحشية، وقد سمعت مؤخراً بأنه قد طبع الكتاب عن طريق المعهد العلمي الفرنسي بدمشق، سنة ١٩٩٣،١٩٩٥، ولكنه لم يقع في يدي.

(١٥) يوجد حوالي (١٥) نسخة هذا الكتاب، الفلاحة النبطية، بعضها ناقص الأجزاء، مبعثرة في مكتبات مختلفة في أنحاء العالم، أنظر كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ترجمة السيد يكر ورمضان عبدالتواب. دار المعارف بمصر، ١٩٧٥، جـ ٤، ص٣٢.

(١٦) توفرت لي فرصة مراجعة نسختين مخطوطتين من كتاب "الفلاحة النبطية" إحداهما نسخة المكتبة الشرقية في المتحف البريطاني .Br. Mus والمرقمة .Add.22.371 ونسخة المكتبة البودلية بأكسفورد والمرقمة .Hunt.36 والأخيرة في خمسة أجزاء، يبدو الرابع منها محشوراً حشراً في وسطها وهو ليس جزءاً منها بل كتاب فلاحي من عصور إسلامية متأخرة.

(١٧) من الورقة .39B إلى .189B

النخل في المخطوط المذكور. فهو إذاً ليس جزءاً من كتاب "الفلاحـــة النبطيـــة" البتة.

ثانياً: يبقى هنا افتراض أن كتاب النخل هو لابن وحشية ألفه منفصلاً عن كتاب الفلاحة النبطية الكبير الذي له، ثم فات ابن النديم ذكره، ولكن هذا أيضـــاً افتراض لا يستقيم أمام الأدلة المنبثقة من النص نفسه وبمعونة نص آخر. كمـــا سنرى فيما يأتي:

باختصار شديد، يتكون نص كتاب "النخل" من مقدمة مختصرة جداً ثـــم مادة النص التي هي عبارة عن جملة نقولات من مصادر بعضها مسمى وبعضها مجهول، ثم من فقرة صغيرة للمؤلف تعكس تجربة خاصة له في مجال الفلاحة، وكذلك أحاديث نبوية فحكايات تتعلق بزرع النخـــل وفـــائدة التمـــر. وباســـتثناء الحكايات الأخيرة، فالنص في تنظيمه يشابه فصلاً من كتاب "الفلاحـــة" لابـــن العوام الإشبيلي، الفلاحي الأندلسي الشـــهير (المتوفـــى بحـــدود ٥٤٠هـــ - ١١٤٥م) [١٨]، وهو بعنوان "فصل النخل"[١٩]، كما أن معنى النص ومادته تشابه نص الفصل المذكور، والاختلاف اليسير بين العملين هو في بعض صياغتـــهما الأسلوبية، وبعض الإضافات اليسيرة التي تتوفر في أحدهما دون الآخر. ولكـــن قبل اقتراح الصلة بين العملين ومحاولة إثباتها لابد من أن نتناول بالدرس حقيقة كون أكثر من نصف نقولات "كتاب النخل" - التي ترد نفسها في فصل كتاب ابن العوام - تعود إلى مؤلفين فلاحيين أندلسيين عاشوا بعد عصر ابن وحشية الـــذي

---

(١٨) عمر رضا كحالة: معجم المؤلفيـــن؛ مطبعـــة الـــترقي، دمشـــق، ١٩٦١ ، جـــ ١٣، ص٢٢٢.

(١٩) اعتمدنا هنا على نسخة من كتاب " الفلاحة" لابن العوام الإشبيلـــي، وهـــي مخطوطـــة محفوظة في مكتبة المتحف البريطاني .BR. MUS تحت الرقم Add. 10461 وابن العوام هو يحيى بن محمد بن أحمد، إشبيلي، ومن آثاره : الفلاحة الأندلسية، ورسالة في تربية الكرم. كحالة: معجم، ج١٣، ص ٢٢٢.

كان حياً بين ٢٩١ هـ - ٣١٨هـ، ٩٠٣ -٩٣٠م، بما لا يقل عن قرن ونصف، وسبقوا ابن العوام الإشبيلي بعدة عقود من الزمان أو عاصروه.

ترد الإشارة إلى أول هؤلاء المؤلفين الأندلسيين في كتاب "النخل" على أنه "الحجاج رحمه الله" ويجري الاقتباس منه مرتين في بداية النص[٢٠] وهو ما يماثل وضع فصل النخل من فلاحة ابن العوام[٢١]. ونحن لا نعرف مؤلفاً في علم الفلاحة أو الزراعة العربية بهذه الكنية أو الاسم سوى أبي عمر أحمد بن محمد بن حجاج، وقد اشتهر بكتاب له في الفلاحة اسمه "المقنع"، وأوفى إشارة عثرنا عليها إلى هذا الرجل وكتابه تلك التي أوردها ابن العوام في مقدمة كتابه "الفلاحة" الآنف الذكر، حين عدّه واحداً من مصادره بقوله "...واعتمدت على ما ضمنه كتاب الشيخ الفقيه الإمام أبي عمر بن حجاج رحمه الله، المسمى بالمقنع، وهو الذي ألفه في سنة ست وستين وأربعماية"[٢٢]، وليس لدينا غير هذا التاريخ مما يفيد في تحديد زمن وجود الرجل لعدم معرفتنا بتاريخ ولادته أو وفاته[٢٣]. لقد كان ابن حجاج حياً إذاً في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري.

ولا يمكن أن يكون ابن حجاج المشار إليه في كتاب "النخل" غير الذي أشير إليه في كتاب ابن العوام، لأن النصين المقتبسين عنه في كلا الكتابين متشابهان إلى حد كبير ويتضح ذلك من النماذج الآتية:

---

(٢٠) كتاب النخل، ص ٦٧.

(٢١) ابن العوام: الفلاحة، ورقة ١٤٩.

(٢٢) المصدر نفسه، ورقة٢، وورقة ٥.

(٢٣) عن حياته الغامضة انظر:

J.M.Millas Vallicrosa: "Aportaciones Para El Estudio De La Obra Agronomica De Ibn Hayyay Y De Abu -L- Jayr", AL-ANDALUS,Madrid, 1955. vol. xx.pp.87-105

كتاب النخل	فصل النخل لابن العوام
١- النخل أنواع عديدة (وبعد بعض العبارات).. وقد قال الحجاج رحمه الله ناقلاً قول ليونطينس: إن من أراد غرس النخلة عليه أن يحفر حفرة عمقها ذراعين..[٢٤]	وأما غراسة النخل وأنواعه كثيرة... (وبعد بعض العبارات).... ومن كتاب ابن حجاج رحمه الله - قال بونيوس(!) يحفر حفرة قدر ذراعين في العمق...[٢٥]
٢- قال ابن حجاج، رأيت[٢٦] في العراق أناساً يغرسون النخل ولا يضعون ملحاً في الحفرة.. [٢٧].	قال ابن حجاج - رحمه الله - قد رأيت غراسة نوى النخل من غير أن يخلط بتربته ملح.... [٢٨].

أما المؤلف الثاني الذي جرى الاقتباس منه في كتاب النخل ، وكذلك في فصل كتاب ابن العوام، فهو المسمى ابن فاضل، وقد اقتبس منه مرتين أيضاً. ولا نجد ذكراً لمؤلف في الفلاحة أو الزراعة العربية بهذا الاسم، لكننا نعرف مَنْ

---

(٢٤) ص ٦٧.

(٢٥) ورقة ١٤٩.

(٢٦) ورد ذكر العراق هنا ولم يرد في نص ابن العوام ولم أجد لذلك تفسيراً إلا أن يكون قد سقط من النسخة المخطوطة التي اعتمدت عليها.

(٢٧) ص ٦٧.

(٢٨) ورقة ١٤٩.

اسمه ابن بصال، وهو عبدالله محمد بن إبراهيم بن البصال الطليطي[٢٩] الأندلسي، وقد أخبرنا المستشرق الإسباني فيكروسا محقق كتابه في "الفلاحة" أن هذا الاسم لم يرد دائماً صحيحاً لدى الكتاب العرب الذين أشاروا إليه، بل كتب أحياناً ابن فاصل أو ابن فاضل[٣٠] أو ابن فصال كما هو عند ابن العوام[٣١]. وكذلك فإننا لا نعلم شيئاً عن هذا الرجل، غير أنه كان فلاحياً ذائع الصيت، اشتهر بممارسته وتجاربه الفلاحية وبتأليفه لكتابين في الفلاحة، حقق أحدهما المستشرق السابق الذكر، فيكروسا. وما يهمنا هنا هو تحديد زمان وجود ابن بصال، فإذا كان كما قيل عنه أنه عمل في تصميم بستان المأمون حاكم طليطلة (٤٢٩-٤٦٧هـ/ ١٠٣٧-١٠٧٤م) [٣٢] وله ألف كتابه في الفلاحة، وإذا كان كما قيل أيضاً - أنه ترك طليطلة بعد أن سقطت بيد الإسبان (٤٧٨هـ /١٠٨٥م) وهاجر إلى إشبيلية وعمل في بستان المعتمد بن عباد ٤٦١-٤٨٤هـ/١٠٦٨-١٠٩١م) حيث جعل منها حقلاً لتجاربه الفلاحية[٣٣]، فينبغي أن يكون الرجل قد عاش في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، وهذا بعد زمن ابن وحشية بكثير. وكرة أخرى فإن ابن فاضل في كتاب النخل، لا يمكن أن يكون غير ابن بصال (أو فصال) نفسه المذكور أعلاه، والذي اقتبس منه ابن العوام، لوجود التماثل بين نصي الاقتباس في الكتابين، بصيغة التشابه نفسها في نماذج ابن الحجاج ومثال ذلك:

---

(٢٩) ابن البصال: الفلاحة، تحقيق خوسي مارية مياس فيكروسا ومحمد عزيمان، معهد مولاي الحسن، تطوان- المغرب، ١٩٥٥، من مقدمة المحقق ص٢٠-٢١.

(٣٠) الفلاحة، ورقة ٥.

(٣١) ابن البصال: المصدر السابق.

(٣٢) المصدر نفسه، مقدمة، ص١٨،و

Stanley lane-poole: the Muhammadan Dynasties. Karachi, 1969. P.21.

(٣٣) ابن البصال: الفلاحة، من مقدمة فيكروسا، ص١٤.

كتاب النخل	فصل النخل لابن العوام
ويرى ابن فاضل: أنه لو خلـــط فـــي زبيلين سماداً أربعة أرطال ملحـــاً راع الإتاء وزكا.... (٣٤).	قال ص (ويقصد به ابن فصـــال كمـــا وضح في المقدمة): يخلط قدر أربعـــة أرطال من الملح في قفتين من الزبـــل والتراب... (٣٥).

وفي الاقتباس الثاني في كلا العملين نجد نظيراً لـــهذا التشابـــه(٣٦). أمـــا المؤلف الثالث الذي اقتبس الكتابان منه، فهو المسمى في "كتاب النخل" بالحجـــاج الغرناطي"(٣٧) ومرة أخرى يبدو أن الاسم كتب خطأ فهو من الحـــاج الغرنـــاطي اعتمد عليـــه ابن العوام، كمـــا يذكر في مقدمة كتابـــــه "الفلاحـــة"(٣٨)، ويؤكـــد فيكروسا ذلك ويضيف بأنه هـــو المعروف أيضاً بالحاج الطغـــنري(٣٩)، وهـــو محمد بن مالك من طغنر إحدى القرى الصغيرة إلى الشمـــال مـــن غرناطـــة. وكحال سابقيه فإننا لا نعرف تاريخ ولادته ووفاته، إلا أنه عرف بكثرة ترحالـــه، وخاصة إلى المشرق، حيث أدى فريضة الحج - ومن هنا جـــاء لقبـــه الحـــاج الغرناطي - وقد عاصر دولة الطوائف الأخيرة في غرناطـــة، وفـــي الإمـــارة الصنهاجية زمن عبـــدالله بن بلّغين (٤٦٦-٤٨٣هـ/١٠٧٣ - ١٠٩٠) حيـــث عمل في خدمته، كما عمل في خدمة الأمير المرابطي تميم بن يوسف بن تاشفين

---

(٣٤) ص٦٨.
(٣٥) ورقة ١٥٠.
(٣٦) النخل، ص٦٨، وابن العوام: الفلاحة، ورقة ١٥٠.
(٣٧) ص٦٩.
(٣٨) ص٦٩.
(٣٩) ابن البصال: الفلاحة، من مقدمة فيكروسا، ص١٦.

(٥٠١ -٥١٢هـ/١١٠٧-١١١٨م) بعد سيطرة المرابطين على غرناطة[٤٠]، وبذلك يكون الحاج الغرناطي قد عاش في نهاية القرن الخامس وبداية السادس الهجري، وربما عاصر ابن العوام، وليس لنا أن نفترض وجود "حاج غرناطي" آخر خاصة أن الحالة تتكرر، فالاقتباسان عنه في "كتاب النخل" هما نفسهما في "فلاحة" ابن العوام، وهذا أحدهما كأنموذج :

كتاب النخل	فصل النخل لابن العوام
وقال الحاج الغرناطي تجعل بعد قلعها في حفرة عمقها لا أقل من شبرين ثم يلقي عليها سرجين مخلوط بتراب حر وملح بحري...[٤١]	وقال غ (يقصد الحاج الغرناطي) وغيره يغرس نقلة النخل في حفرة عمقها نحو شبرين لا أقل، ويرد عليها التراب والزبل والملح[٤٢].

وأخيرا لدينا مصدر رابع، وهو المشار إليه بأبي الخير، جرى الاقتباس منه مرة واحدة في كلا العملين. ولا نعرف شيئا يذكر عن هذا الرجل، لا تاريخ ولادته، ولا تاريخ وفاته ولا أي فعل له يمكن ربطه بزمن ما لمعرفة أو تخمين وقت وجوده، يذكره ابن العوام كأحد مصادره فيقول "(واعتمدت) على كتاب الشيخ الحكيم ابن الخبر (هكذا) الإشبيلي رحمه الله وهو مبني على آراء جماعة من الحكماء والفلاحين وعلى تجاربه.." [٤٣]. وأغلب الظن أنه من معاصري ابن

---

(٤٠) G.S. Colin: Art."Filaha, "Encyclopaedia of Islam, 2nd. ed. Vol. 11.p.901.

(٤١) ص ٦٩.

(٤٢) ورقة ١٥٠.

(٤٣) ورقة ٥.

حجاج[٤٤]، أي من القرن الخامس الهجري وكذلك فان نصه المقتبس متشابه في كلا العملين[٤٥].

إن كل هذا يؤكد أن في "كتاب النخل" الكثير من النقولات التي تعود إلى مؤلفين أندلسيين عاشوا بعد عصر ابن وحشية بقرابة قرن ونصف، ومن ثم فإن الكتاب لا يمكن أن يكون له وإن النسبة خاطئة تماماً. ثم يأتي مقطع قرب النهاية في العملين، "كتاب النخل" و"فصل نخل فلاحة ابن العوام"، ينهي كل شك ويقطع أي صلة لكتاب النخل بابن وحشية كمؤلف مزعوم له. والمقطع المشار إليه هو كما يأتي:

كتاب النخل	فصل النخل لابن العوام
قال المؤلف: وقد القحت نخلاً في جبل أشرف بفحال بري في حين الإلقاح وذررت من دقيقه على الأنثى فكان التمر من أحسن ما يكون. هذا ما فعلته في سنة واحدة. [٤٦]	لي:(وهذه إشارة يستعملها ابن العوام لتمييز ما هو له عما هو لغيره) ذكر (كذا) نخلة برية[٤٧] في الشرف[٤٨] في حين فتح نوارها بيسير من الفحال وردت عليها عند ذلك ورد مطحون فأرطب طيباً، وفعلت ذلك بها مرة واحدة في ذلك العام.. [٤٩].

(٤٤) انظر ما أمكن جمعه من حديث عنه في البحث المشار إليه هامش (٢٣)
J.M.Millas Vallicrosa: Op. cit.pp.87-105.
(٤٥) كتاب النخل، ص٦٩. وابن العوام: الفلاحة، ورقة ١٥٠.
(٤٦) ص ٦٩.
(٤٧) في المخطوط برنية.
(٤٨) في المخطوط الشرق.
(٤٩) ورقة ١٥٠ وانظر عن أسلوب ابن العوام الخاص في كتاب الفلاحة بأجمله
G.S. Colin: Op.cit.p.902

إن لهذا المقطع أهميته البالغة في تحديد هوية المؤلف ، ولو بشكل غير مباشر، فإقرار المؤلف في كلا العملين أنه مارس تجربة فلاحية، هي نفسها في النصين على جبل - أشرف أو الشرق[٥٠]، يوصلنا إلى حقيقة أن المؤلف هو ابن العوام. فنحن نعرف أن جبل الشرف يقع جنوبي مدينة إشبيلية، مدينة ابن العوام، وهو الموضع الذي أشار إليه ابن العوام مراتٍ على أنه موضع تجاربه الزراعية[٥١].

يتضح من كل ما سبق أن مؤلف "كتاب النخل" ليس ابن وحشية النبطي وأن هذا الكتاب الصغير يمت بصلة وثيقة إلى كتاب "الفلاحة" لابن العوام، ولكننا لا نستطيع القول أنه تماماً هو فصل "النخل" من كتاب ابن العوام لوجود بعض الفروقات بين النصين.

إن نظرة أخرى إلى كلا العملين، "كتاب النخل" وفصل "نخل" ابن العوام، ترينا أن بناء وتسلسل مقاطع الاثنين متطابقة. مقدمة صغيرة ثم صلب النص والمكون من حوالي ستة عشر اقتباساً، هي إلى حد كبير جداً نفسها في كليهما من حيث مصادرها وأسماء أصحابها وتسلسلها ، وتتفق في محتوياتها، ولكن تختلف بعض الشيء في أسلوب صياغتها اللغوية مما لا يغير في معنى أو يخل في المحتوى، ويبدو أسلوب كتابة "كتاب النخل" أكثر وضوحاً وفصاحة وتنظيماً من أسلوب ابن العوام الذي يعتوره اضطراب وتداخله العامية فتقل فصاحته، وهذه الخصائص في لغة ابن العوام سبق أن أشار إليها ودرس بعض أوجهها

---

(٥٠) كتاب النخل، ص٦٩، ابن العوام: الفلاحة، ورقة ١٥٠.

(٥١) مصطفى الشهابي: "نظرة في كتاب الفلاحة الأندلسية" مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، مج١١، ج١ ٢، كانون الثاني/شباط، ١٩٣١، ص١٩٤.
وانظر أيضاً: G.S.Colin:Op.cit.P.902.

العلامة مصطفى الشهابي[٥٢]. ولا يختل التشابه في عدد الاقتباسات وتناظر أسماء أصحابها وعددها بين العملين إلا في حالتين أو ثلاث حالات، ليست ذات أهمية تذكر باستثناء واحدة منها يهمنا أمرها، وهي أن أحد الاقتباسات يرد في كتاب النخل منسوباً إلى "صغريث" بينما يأتي في فصل النخل لابن العوام منسوباً إلى مصدرين، الأول هو "كتاب الفلاحة النبطية" لابن وحشية وحصته الجزء الأول من الاقتباس، أما الجزء الثاني من الاقتباس نفسه المنسوب إلى "صغريث"[٥٣]، ولهذا أهميته فيما سوف نخلص إليه. يلي مجموعة الاقتباسات المذكورة عبارة المؤلف التي سبق وأوردناها من أجل المقاربة، وأخيراً ينتهي فصل النخل لابن العوام بأحاديث نبوية مقتضبة في فائدة التمر وقيمته، أما "كتاب النخل" فينتهي نصه بالأحاديث النبوية نفسها بصيغة أسلوبية مختلفة بعض الشيء، ثم يزاد على كل ذلك ثلاث حكايات عن زراعة النخل يختلط فيها المعقول بالخرافة، ثم حديث آخر للرسول (ص) وفي الختام ملاحظة طبية ذوقية عن قيمة التمر[٥٤]. وتبدو هذه الإضافة الصغيرة التي لا تتجاوز في مقدارها نصف الورقة ذات طبيعة ليست من القسم الأساسي السابق من النص الذي لم يحد عن كونه خلاصات عملية تجريبية.

نخلص مما سلف إلى أن "كتاب النخل" الذي نشره السامرائي لا يمكن نسبته إلى ابن وحشية، لا كجزء من كتابه الكبير "الفلاحة النبطية" ولا كعمل مستقل له، ولا صلة له بابن وحشية أكثر من مجرد احتوائه على نص صغير مقتبس منه. ولكن "لكتاب النخل" هذا صلة وثيقة بابن العوام الإشبيلي (كان حياً

---

(٥٢) الشهابي: المرجع السابق. وكذلك انظر مصطفى الشهابي: "كتب الفلاحة العربية وألفاظها المولدة"، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق مج ٣٥، جـ٤، تشرين الأول، ١٩٦٠.

(٥٣) كتاب النخل. ص٦٨، وابن العوام: الفلاحة، ورقة ١٤٩.

(٥٤) كتاب النخل، ص٧٠.

بحـــدود منتصف القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي) فـــهو يشابـــه فصل النخل من كتابه "الفلاحة" ولكنه ليس هو تماماً. فإما أن يكون عملاً قام بـــه ابن العوام نفسه بأن أعاد صياغة "فصل النخل"، من كتابـــه مـــن حيـــث اللغـــة والأسلوب بشكل أكثر فصاحة وإحكاما ثم أضاف إليه بعض الإضافات اليســـيرة وأخرجه بعد ذلك بهذا الشكل المستقل[٥٥]، ثم حدث أن تطفل أحدهم علـــى هـــذا العمل المستقل فنسبه إلى ابن وحشية بعد إذ جهل اسم المؤلف الحقيقي أو تجاهله، أو أن يكون شخص ما قد تلقف كتاب "الفلاحة" لابن العوام، وهو عالم بمؤلفه أو جاهل به، فانتزع فصل "النخل" منه وأعاد كتابته مع بعض التغيير فـــي أســـلوب لغته، وأضاف إليه حكايات قصيرة وفوائد ثم نسبه إلى ابن وحشية بعد أن أسقط من داخل النص ذكر كتابه "الفلاحة النبطية" كمصدر لأحد الاقتباسات، كما سبق وأشرنا، كي لا تراود القارئ الشكوك في صحة نسبة الكتاب، وختم ذلـــك كلـــه بوضع تاريخ قديم له وهو سنة ٣٢٤هـــ/٩٣٥م وهو تاريخ قريب جداً من آخـــر تاريخ مزعوم ينبئ بوجود ابن وحشية (٣١٨هـــ/٩٣٠م) [٥٦]. هذا إلا إذا كـــان السيد الألوسي قد زل قلمه فنسخ التاريخ المذكور بشكله هذا وهو يقصد به ســـنة ١٣٢٤هـــ ١٩٠٦، ليعني به سنة نسخه هو، أي الألوسي للكتاب المذكور. وفي كل الأحوال يكون تأليف "كتاب النخل" قد تم في عصر ابن العوام الإشبيلـــي أي القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي أو بعده، وليس قبل ذلك.

الطريف في حكاية "كتاب النخل" هذا... أن نسبته الزائفة أفلتت من بيـــن أصابع العلامة الألوسي ولم ينل منها علمه الواسع، ثم مرقت من قلم المحقـــق أنستاس الكرملي الى قرطاسه من دون أن يرصدها، وهو الثبت الذي ما مرت به

---

(٥٥) سبق أن ذكرنا في الهامش (١٩) أنه لم يعرف لابن العوام غير كتابين، أحدهما "الفلاحة" المشار إليه والآخر "رسالة في تربية الكرم".

(٥٦) سبق أن أشرنا إلى أن سنة ٣١٨هـــ/٩٣٠م هي السنة التي أملى فيها ابن الوحشية كتابه "الفلاحة النبطية" بعد أن ترجمه على تلميذه الزيات- راجع هامش (١٠).

مفردة يوماً إلا أصلها وفصلها.. ثم يصر على صحتها أستاذ كبير كالسامرائي... مرتين .. عبر عقدين... (٥٧).

(٥٧) عاد الدكتور السامرائي إلى توكيد كون "كتاب النخل" فصلاً من "الفلاحة النبطية" في هامش له على سياق مقال نقدي لتحقيق كتاب الحجاج المسمى بالمقنع، انظر ذلك في (مجلة مجمع اللغة العربية الأردني) العدد ١٩-٢٠/السنة السادسة كانون الثاني-حزيران ١٩٨٣، ص١٢١-١٤٩. هامش (١)ص: ١٢٣.